

اللغة العامة واللغات المحلية

General language and regional languages

بن أكنيو نبيلة*

جامعة الجزائر2، كلية الآداب واللغات الشرقية، قسم علوم اللسان

nabilabenak@gmail.com

طاهر ميلة

جامعة الجزائر2، كلية الآداب واللغات الشرقية، قسم اللغة العربية وآدابها.

miltah@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 2022/05/18 تاريخ القبول: 2022/06/02 تاريخ النشر: 2022/06/16

ملخص:

ظهر مفهوم اللغات المحلية في الدرس اللساني الغربي مع تفتح هذا الأخير على وصف الواقع الحقيقي للغة العامة، فبعد أن كان ينظر إليها على أنها واحدة موحدة؛ طرح الباحثون تساؤلاً عن مدى صدق هذه النظرة وموضوعيتها، ولذا توجهنا في هذا المقال إلى تتبع بعض الجهود التي قدموها في معالجة هذا الموضوع، ويتمثل الغرض الأساسي من وراء مقالنا في التعريف بمفهوم " اللغات المحلية "، لأن التطرق إلى هذا المفهوم يكاد ينعدم في الدراسات العربية، فعرضنا ما قدمه الدارسون الغربيون عرضاً وصفيًا من خلال أهم المقالات التي كُتبت حول " اللغات المحلية "، وخاصة ما كتبه كلود بواربي Claude Poirier الذي عالج الموضوع معالجة متخصصة دقيقة، ومن أهم النتائج التي وصل إليها بواربي وغيره من الدارسين أن اللغات العامة تولدت عنها لغات محلية عديدة، لأسباب وظروف شتى منها توسع رقعة الناطقين باللغة الواحدة عبر العالم كله.

الكلمات المفتاحية: اللغات المحلية، التنويع الجغرافية للغة، اللغة العامة، التنويع المركزية، المعايير الداخلية

المنشأ.

Abstract:

the concept of regional languages appeared in the western linguistic lesson with the latter's opening to describing the true reality of the general language, after it was seen as a unified one; The researchers raised a question about the validity and objectivity of this view. In addressing this topic, and the main purpose behind our article is to define the concept of "regional languages" because addressing this concept is almost non-existent in Arabic studies. So we presented what Western scholars have presented descriptively through the most important articles that have been written on "regional languages", especially what was written by Claude Poirier, who dealt with the subject in a precise and specialized manner. One of the most important results poirier and other scholars reached is that general languages have

generated many regional languages, for various reasons and circumstances, including the expansion of the range of speakers of the same language throughout the world.

Keywords: regional language , geographic variation of language, general language, central variation, endogenous criteria.

1 المقدمة:

حين نتكلم عن لغة ما فنقول " اللغة العربية " أو " اللغة الانجليزية " أو " اللغة الصينية "؛ فإننا نذهب بأذهاننا مباشرة إلى تلك اللغة الرسمية المعتمدة من قبل الهيئات الرسمية في بلدانها أو البلدان الناطقة بها، وعادة ما يعكس هذه اللغة في المفردات قاموس اللغة العام، وفي النحو ومختلف القواعد الكتب المعتمدة في تدريسها عند أصحابها، كما تعد اللغة المرجع التي تعرف إزاءها الأخطاء والانحرافات التي يقع فيها مستعملوها. ولكن هل كون اللغة بهذه المواصفات يعني أنها واحدة موحدة، ولا تختلف حيث تستعمل من مكان إلى آخر؟ هل هي اللغة المعيار التي يحترم جميع الناطقين بها كل قوانينها أو يحرصون على ذلك؟ ألا يوجد فيها مجال للتغيير والخروج عما يبدو مشتركا مبدئياً؟

يعد الكلام عن تنوع اللغة العامة وتعدد موضوعها جديداً - إلى حد ما - في اللسانيات الغربية، فقد دأب الدارسون على النظر إلى هذا المستوى من اللغة نظرة تبجيل تحيل إلى ثبات هذه اللغة ووحدها، وأنها فوق الاختلاف والتغيير، ومع تمكن المنهج الوصفي في الدراسات الحديثة، سعت هذه الأخيرة إلى تخطي النظرة المعيارية الصّفوية، والعمل على وصف اللغة العامة وصفا علمياً يتبع واقع الاستعمال. ومن هنا بدا لنا هذا الموضوع في غاية الأهمية بالنسبة للغات عامة ومنها لغتنا العربية، ولكننا لاحظنا أن الدرس اللغوي العربي الحديث لم يعطه الأهمية التي نالها في الغرب، وربما يعود ذلك إلى حداثة هذا الطرح عند الدارسين الغربيين أنفسهم، والغريب في الدرس العربي أن الإشارة إلى تنوع الفصحى موجودة بوضوح ومبثوثة في بحوث ومقالات عدة، ولكنها لم تتابع لتجعل من الموضوع أحد المباحث الأساسية في الدرس اللغوي، فتتظّر له وتشير قضايا أخرى متعلقة به مثلما هو الأمر في الدرس الغربي.

من هنا أردنا أن نكشف اللثام عن واحد من أهم المفاهيم التي خرج إليها البحث في تنوع اللغة الرسمية في الدرس اللساني الحديث، وهو مفهوم " اللغة المحلية " أو بالأحرى " اللغات المحلية "، فما المقصود بهذا المصطلح؟ وكيف خرج إلى الوجود؟ وبأي المفاهيم يرتبط؟ واعتمدنا في إمطة اللثام على مجموعة من النصوص المهمة التي كتبها باحثون اختصوا بهذا الموضوع ومجاله العام، وأهمهم كلود بواربي . Claude Poirier

1- تنوع الفصحى العربية في الدرس العربي الحديث:

يشير علي القاسمي إلى خطأ الاعتقاد بوحدة اللغة الفصحى، فيقول: " نزع أن اللغة العربية الفصحى هي لغة واحدة ولكن المعاجم اللغوية العربية لم تسجل بصورة كاملة ألفاظ الحضارة المستعملة

في الحياة العامة ... وظل الناس يستعملون أسماء تلك الأشياء، تختلف من قطر لآخر ومن ناحية لأخرى¹، ويعبر عبد القادر الفاسي الفهري عن تنوعات الفصحى بمصطلحي " التلونات الإقليمية " و " التنوعات "، قائلا: " هذه السيرة التاريخية للعربية هي التي جعلت هذه اللغة تصمد بتنوعاتها، وجعلت ما يمكن أن نسميه السجل اللغوي linguistic repertoire بالبلدان العربية، يتضمن العربية الفصيحة بتلونها الإقليمية، والعاميات بتلونها المحلية كذلك"²، وفي سياق آخر يقول: " علاوة على هذا، فإن العربية الفصيحة لها أيضا تنوعاتها، نتيجة تنوع المصطلح أو المفردات، أو المحتوى السيميائي/ الثقافي أو التداخلات اللهجية المحلية، علاوة على الاختلاف في النبر والنطق"³، وتناول حسن حمزة مسألة تنوع الفصحى بوضوح، فأطلق مصطلح "فُصَحَيَات العربية" قائلا: " العربية الفصحى واحدة في مختلف أرجاء العالم العربي الكبير، وهي من أهم عناصر وحدة هذا العالم، غير أن هذه اللغة الواحدة لا تمنع من أن يكون في كل بلد عربي شيء من الخصوصية؛ في تركيب نحوي يستخدمونه دون غيرهم، أو في لفظ يتفردون باستعماله، أو يعطونه معنى ليس معروفا شائعا عند غيرهم"⁴. ثم يؤكد في سياق لاحق فكرته هذه مستخلصا، فيقول: " ما تواضع الناس على تسميته بالعربية الفصحى إذا يختلف من مكان إلى مكان. في عربية مصر، والشام، والعراق، والمغرب والخليج، فروق لا تخفى على الباحث المتفحص، الذي يمعن النظر فيها، وهذا أمر شائع معروف في اللغات المحصورة في نطاق جغرافي ضيق، فما بالك باللغات التي تنتشر على مساحة واسعة من الأرض كما هي حال العربية"⁵.

أما كمال محمد دسوقي فيشير إلى أن تنوع العربية الفصحى لا يتعلق بتلك الفصحى التي ارتبطت بالنص القرآني والتفسير والحديث، والفقه، ولغة الشعر والنثر والعلم، فقد " كان إلى جانب لغة المعاجم الفصحى هذه (بثوابتها نحوا وصرفا وتجويد ألفاظ وأساليب)، لغة محلية للحياة الاجتماعية، تضع التنوع المحلي داخل التوحد القومي بالفصحى، للدارسين والباحثين والمؤلفين في العلم؛ لغة ليست بالضرورة العامية الدارجة المحلية، أو الجهوية الشعبية الشائعة، لكنها التي تعبر عن حاجات الإنسان في حياته اليومية المعاشية، من مطعومات، وملبوسات، ومشغومات، وأثاث، وبيوت ومساجد، وأدوات، وحرف وصناعة وتجارات"⁶، وتطرق أحمد المعتوق إلى تنوع الفصحى في إطار ما سماه " اللغة الثالثة " حيث يرى أنها " قد تختلف نوعا ما، من حيث نوعية العناصر المكونة لمنتها، وطبيعة تركيبها اللغوي، بحسب القطر الذي تنشأ فيه، وتستعمل فيه العوامل التاريخية والجغرافية والحضارية المؤثرة، فيكون لها طابع محلي أو إقليمي مميز؛ ولكن يبقى الطابع العربي الفصيح المشترك هو السائد. إن اللغة الثالثة في المجتمع المغاربي على سبيل المثال قد تختلف بعض الشيء عن اللغة الثالثة في المجتمع الخليجي، ذلك لأن الروافد التي تستمد منها هذه اللغة عناصرها المكونة غير متوافقة على النحو الأكمل "⁷.

كما نجد بعض الباحثين يخصصون المغرب العربي بدراسة هذا الموضوع، فيشير حسن حسني عبد الوهاب* إلى بعض الاختلافات في فصحي المغرب العربي، حيث "كان يردد هذه العبارات: نقول في المغرب، وعندنا في المغرب نقول ونقول في تونس"⁸، ويقول محمد رشاد الحمزاوي: "وجاءت لفظة إزار التي نافستها كلمة الوزرة فقال حسن حسني عبد الوهاب: لا نعرف في اللغة التونسية غير هذه الكلمة (أي الإزار) للدلالة على المعنى المراد بها في مصر (أي الوزرة)... وجاءت كلمة "الطارمة" للدلالة على الكلمة الفرنسية étalage، فقال فيها: في المغرب الأقصى لا يزالون يستعملون كلمة "الطارمة"... وجاء مترادفان "الطبق والصح" ، فقال: في المغرب، لا نستعمل إلا الصحن"⁹. ويقول إبراهيم السامرائي وهو يتحدث عن الكلم والمجاز الجديد في العربية: "إن البلدان العربية القريبة من البلدان الغربية بصلاتها، قد عرف أهلها هذا الجديد، فصار عربية إقليمية"¹⁰، فيستعمل هنا مصطلح "العربية الإقليمية"؛ ويواصل كلامه باستعمال مصطلحي "عربية أهل الشمال الإفريقي" و"عربية خاصة"، فيقول: "وسأتي على شيء من عربية أهل الشمال الإفريقي، التي عرفها غيرهم من عرب المشرق وأبدأ بما كان لي، وهو قليل من كثير في القطر المغربي. لقد قرأت في صحف هذا البلد عربية خاصة"¹¹، ويستمر في المقال مستعملاً المزيد من العبارات الدالة على تنوع الفصحي، مثل: شيء خاص وجدته في المغرب، خاص بهذه الديار، في ديار المغرب عامة، استعمال مغربي أو إفريقي خاص، العربية المغربية... الخ، ويعود السامرائي بالفكرة نفسها والمصطلحات ذاتها في مقال آخر، فيقول: "التربص مصدر الفعل تربص، وهذا المصدر يرد في عربية الشمال الإفريقي... أقول إن هذا مولد جديد في هذه العربية الإقليمية، ذلك أن التربص في فصيح العربية شيء آخر"¹².

2- مفهوم اللغة العامة:

في إطار الكلام عن "اللغة العامة la langue générale" يعرف كلود بواربي Claude Poirier الفرنسية العامة بأنها "فرنسية محايدة مشتركة لدى الجماعة، أو لدى أكبر عدد من الناطقين بالفرنسية في فرانكوفونية"¹³، كما يطرح بواربي - في كلامه عن الفرنسية - تسمية أخرى يظهر أنها الأصح بالنسبة له، وهي "الفرنسية المرجعية français de référence"، لأنه يرى وجود بعض الإشكاليات المتعلقة بما يسمى "الفرنسية العامة"، فهي لم تكن موضوعاً لوصف كامل ولا تُعرف مكوناتها بالضبط، كما أنها لن تُعرف أبداً¹⁴، ولكنه أقر مع ذلك بأنه سيعود لاستعمال مصطلح "اللغة العامة" لسببين؛ أولهما أنه يغطي نفس الحقيقة التي يغطيها مصطلح "اللغة المرجعية"، وثانيهما أنه يقابل مفهوم "اللغة المحلية"¹⁵ ومن خلال هذه الجملة الأخيرة يتضح أن اللغة العامة لها مقابل اسمه "اللغة المحلية la langue régionale"، وهنا بداية الجواب عن السؤال الذي

طرحناه أعلاه؛ وهو غاية هذا المقال، فاللغة المحلية كما يبدو هي النصف الثاني للغة العامة وفرع لها، مما يعني أن هذه الأخيرة - وإن كانت في الأصل واحدة موحدة - تفرّعت ولم تعد كذلك.

وبالعودة إلى التسميات المختلفة التي أطلقت على اللغة العامة، نجد ماريا إيميليا بيريرا

شانو Maria Emília Pereira Chanut تغلب تسمية " اللغة النمطية Français standard"، وهي تصفها قبل ذلك بتسمية أخرى من خلال مصطلح " التنوعية المركزية la variété centrale"، وهو المصطلح الذي سيأتي بمصطلح شقيق للغة المحلية يتمثل في " التنوعية الجغرافية variété géographique"، وينعكس ذلك في قولها: " هناك العديد من التسميات المفيدة في التعبير عن التنوعية المركزية التي نستند إليها في تحديد السمات المميزة لتنوعية جغرافية للغة الفرنسية، والأشهر بلا شك هي الفرنسية النمطية"¹⁶، فاللغة العامة النمطية عندها هي التنوعية المركزية واللغة المحلية هي التنوعية الجغرافية، وهي ترى أن لتسمية " الفرنسية النمطية " ضرر استدعاء البعد المعياري في سياقات حيث لا يجب أن يؤخذ هذا المظهر بعين الاعتبار، ولهذا فضلت لها تسمية " الفرنسية المرجعية français de référence" لأنها أكثر حيادية وليست غامضة¹⁷. كما نجد عند ليون وارنو Léon Warnant مفهوم آخر يقابل به مفهوم " اللغة المحلية " من خلال كلامه عن " الفرنسية المحلية " حيث اقترح " فرنسية الاستعمال الجيد bon usage" مقابلها، فتعريف الأولى يقتضي في نظره تعريف الثانية¹⁸.

ومن خلال ما سبق يتضح أن كلام الباحثين عن اللغة العامة وكل ما تعلق بها قادهم مباشرة إلى الكلام عن اللغة المحلية، أو التنوع المحلي الفرعي لهذه اللغة.

3- أهمية المعيار في اللغة العامة وتنوعاتها :

إن الكلام عن وجود لغة عامة مرجعية مشتركة بين الناطقين بلغة واحدة؛ مهما تباعدت المسافات بينهم، ومهما تعددت تنوعاتها، يطرح قضية وجود معيار ملائم لهذه اللغة، ويطلق روبير فيزينا على هذا المعيار مصطلح " المعيار المركزي " و " المعيار الفوقي supranorme"، كما يطلق عليه جون بريفو Jean Pruvost مصطلح " المعيار الدولي" فيقول الأول: " ما ندرسه في كيبك، في بلجيكا، في إفريقيا، داخل جزر الأنتيل وخارجها هو الفرنسية. يمكن أن نرى في هذا النحو وهذه الفونولوجيا وهذا المعجم تقاسما لمعيار مركزي للاستعمال الجيد، معيار مرجعي مشترك يؤلف مجموع تنوعات الفرنسية في لغة واحدة ويكسب هذه الأخيرة بعض الثبات ويحافظ على التفاهم"¹⁹، ويقول الثاني: " يمكننا أن نتصور معيارا دوليا للفرنسية حيث الاستعمالات الوطنية والمحلية المؤتمنة في نطاق الجماعات، سوف تُسجل في المكان المناسب لها داخل فسيفساء الفرنسية المرجعية"²⁰.

ويجمع آلان راي Alain Rey بين الكلام عن الفرنسية العامة وعن المعيار حين يجعلهما مرجعا في تمييز الخصوصيات particularités، قائلا: " يستلزم مفهوم الخصوصية الإحالة

على فرنسية عامة غير موسومة، واستبعاد أغلب الوحدات الموصوفة في قواميس الفرنسية التي يفترض أنها ممثلة لهذا المعيار"²¹.

ومقابل المعيار الدولي الذي تندرج فيه تنوعات اللغة الواحدة، يقدم كلود بواربي نظرة عكسية تتمثل في تعدد المعايير لكل تلك التنوعات، وانطلق في ذلك من اقتراح " استبدال اصطلاحات الفرنسية المحلية بالفرنسيات الوطنية، التي لن تعالج بالعودة إلى معيار فرنسية فرنسا، ولكن بالعودة إلى معاييرها الخاصة، وبالتالي هذا يعيدنا إلى تأسيس عدة فرنسيات معيارية بصيغة أخرى إلى التسليم بوجود عدة تنوعات معيارية داخل ما نقصد به اللغة الفرنسية"²²، والفكرة ذاتها يتكلم عنها روبرت فيزينا فيما سماه " المعايير داخلية المنشأ normes endogènes"، حيث يقول: " لأن اللغة ليست متجانسة، وكل جماعة تصبغها بلون خاص؛ ينبغي أن يطرح وجود المعايير داخلية المنشأ، التي تعدل تطبيق المعيار المشترك، لإعطاء صورة عن هذا التنوع"²³. ومن هنا يتضح الأثر الذي أحدثه البحث في تنوع اللغة العامة على باقي المفاهيم، حيث كان الشائع عن المعيار أنه صارم يوجه نحو الصحيح في اللغة، فنجد هنا يتجدد ويتعدد ليساير تنوع اللغة العامة وتعددتها، فلم يعد المعيار معيارا بل معايير.

4- مفهوم اللغة المحلية: langue régionale

من خلال ما سبق يتضح أنه لا غنى في تعريف اللغة المحلية عن اللغة العامة، وفي هذا تقول بريجيت أوريو Brigitte Horiot عن الفرنسيات المحلية بأنها " انزياحات مقارنة بالفرنسية العامة المعروفة، عن طريق مجموع المميزات المشتركة عند كل المتكلمين الفرانكوفونيين"²⁴، فلكي تحدد لغة بكونها محلية ينبغي أن تكون قد حددت اللغة العامة التي انبثقت منها، وليس الأمر متاحا بسهولة، إذ هناك عقبات تواجه وضع حدود للغة العامة؛ ونظرا لهذه الإشكالات المرتبطة بتحديد هذه اللغة المرجع رأى كلود بواربي أن " الطريقة العملية الوحيدة لتحديد الاستعمالات المحلية مقارنة بالاستعمال المشترك تكون من خلال مقارنتها بالاستعمالات المعروضة دون تحديد محلي في القواميس وأنحاء الفرنسية المعاصرة. إن المدونة التي يشكلها مجموع الاستعمالات الموصوفة في هذه المؤلفات المرجعية هو كل ما يتوفر وما هو معروف من خلال الفرانكوفونية كلها وهذه هي التي يستعملها مدرسو الفرنسية في العالم كله وإليها يرجعون تلقائيا للتحقق من التوافق مع نظام الفرنسية الحالي لكلمة أو عبارة أو نطق أو تركيب"²⁵.

ونجد المفهوم ذاته عند ليليان رودريغز Liliane Rodriguez، ولكن بتسمية أخرى من خلال مصطلح " التكلم Le parler"، فقد اعتمدت الباحثة على تعريف قاموس Robert لمصطلح " تكلم Parler" لتأخذ مصطلحا لبحثها حول فرنسية مانيتوبا Manitoba، لأن هذا المصطلح في رأيها هو الأوسع وينطبق بصفة أحسن على موضوعها²⁶، لقد عرفته بأنه " مجموعة من وسائل التعبير موظفة من قبل جماعة داخل مجال لغوي"²⁷، وتقول: " فهذه الجماعة هي جماعة

الفرانكومانيتوبيين والمجال الذي يتموضعون فيه هو مجال اللغة الفرنسية، ومجموع وسائل تعبيرهم تتشكل أساسا من اللغة المشتركة ومن العناصر المحلية²⁸. وُرجع إمكانية تبنيتها لمصطلح التكلم فرانكومانيتوبي إلى ثلاثة أسباب: أنها تدرس لغة مشتركة (فرنسية) في مكان محدد (مانيتوبا)، وأن هذه اللغة تنطوي على تنوعات محلية، وأن من بين هذه التنوعات تتكشف لهجيات dialectalismes (حتى لو كانت منقولة من مكان إلى آخر)²⁹، فهي تشير هنا إلى المكونات التي يبنى عليها هذا المفهوم؛ وأولها أنه لا يخرج عن اللغة العامة كلياً بل ينطلق منها ثم يميز نفسه بعناصر محلية خاصة منها ما هو مقتبس من اللهجات المتنوعة.

ويطلق آلان بولغير على تنوع اللغة الواحدة من منطقة إلى أخرى "التنوع اللغوي المتعلق بالموقع الجغرافي" Variation liée à la situation géographique، دلالة على ارتباط التنوع بالمكان دون غيره، وأدرج هذا التنوع ضمن عنوان أوسع هو "التنوع اللغوي variation linguistique" الذي قسمه إلى خمسة أصناف، ويعرف آلان بولغير التنوع اللغوي المتعلق بالموقع الجغرافي بأنه مجموع فوارق لغوية مقرونة بمناطق أو بلدان معينة فبالنسبة للغة الفرنسية، ورغم الدور الذي تؤديه التلفزة في التقليل من حدة الاختلافات اللغوية بين منطقة وأخرى، وكذلك الحركة الجغرافية الناجمة عن تطور وسائل النقل؛ إلا أن الاختلاف المتصل بالموقع الجغرافي لا يزال واضحاً جداً بين بلد وآخر، ومن الأمثلة التي أوردها بين فرنسية فرنسا وفرنسية كيبيك التعبير عن الغسالة ب machine à laver في فرنسا وب laveuse في كيبيك، والتعبير عن المكينة الكهربائية ب aspirateur في فرنسا وب balayeuse في كيبيك³⁰. ومن المنطقي أن يتخذ بولغير هذه التسمية للمفهوم كون الجغرافيا عاملاً مهماً بل الأساس في بروزه إلى الوجود، فتوسع رقعة لغة ما من أهم أسبابه، إذ "يحدث غالباً - في العالم - أن اللغة الواحدة تكون منطوقة في عدة بلدان في الوقت نفسه، وهذه خاصة حال اللغات الكبرى، كالإنجليزية والإسبانية والفرنسية"³¹. فبالنسبة للفرنسية تحدث إنكا وسلر عن امتدادها الواسع، وتربطه بتعدد الوضعيات اللغوية الاجتماعية والنشاطات التواصلية، قائلة: "التنوع الجغرافي ظاهرة اختلاف تميز الفرنسية في كل المجال الفرانكوفوني الذي يعرف وضعيات لغوية اجتماعية، ونشاطات تواصلية متعددة، في أوروبا، وفي أمريكا الشمالية، ولكن أيضاً في إفريقيا، والشرق الأوسط والمحيط الهندي، والمحيط الهادي وجزر الأنتيل"³².

ومن عنصر التواصل تولد عاملان نقيضان يكملان بعضهما في نشأة اللغات المحلية، أولهما تواصل المجموعات اللغوية واحتكاكها ببعضها؛ خاصة مع تطور وسائل الاتصال الحديثة وتوفرها، "فالانفتاح الأكبر أمام اختلافات النظام المعجمي الذي يمس المشهد الفرانكوفوني، هو في جزء منه بسبب الاحتكاكات الضيقة أكثر فأكثر، بين مختلف المجموعات التي تتقاسم الفرنسية، مثلما هو أيضاً بسبب معرفة أهمية الهويات الثقافية"³³، أما الثاني فهو انقطاع التواصل بين المناطق التي تتقاسم هذه

اللغة، ويقول كلود بواربي في ذلك: "إن المسافة التي حدثت بين فرنسية كندا وفرنسية فرنسا، جراء انقطاع التبادلات المباشرة بين الكنديين والفرنسيين نتيجة التخلي عن المستعمرة للبريطانيين؛ قد أُكِّدت من طرف الثورة الفرنسية التي جددت التعبير عن الأفكار، وأدت إلى تغيرات لغوية معتبرة"³⁴.

ويتبع قيمة الجغرافيا في تنوع اللغة ما يحدث على مستواها وما تمر به هذه الجغرافيا من ظروف وأحداث متنوعة، مثلما هو الأمر في عالم السياسة، فهذا العامل يؤدي دورا مهما في الحفاظ على وجود اللغات المحلية واستقرارها، بل تطورها أيضا وخلف هذا الأمر دوافع تحرك أصحاب القرار السياسي في هذا الاتجاه؛ وهذا ما نراه في "تشجيع فرنسا بقية الدول الأوروبية على تقوية لغاتها، لمقاومة اكتساح اللغة الإنجليزية للمجال الأوروبي حيث كانت وراء صدور الميثاق الأوروبي للغات المحلية أو لغات الأقليات *La charte européenne des langues régionales ou minoritaires*، وإن كان يتناقض مع السياسة الوطنية الفرنسية، التي لم تكن تشجع على إحياء أو استعمال اللغات المحلية مثل الباسكية والكورسية والألزاسية، بل كانت تمنع استعمالها في الدوائر الرسمية"³⁵. وقد يكون العامل السياسي فعالا حاسما في ظهور تنوع اللغة، وهذا ما كان عليه الحال بالنسبة لإنجليزية الولايات المتحدة الأمريكية، فقد ارتبطت بالاستقلال السياسي لها "، ومن أجل هذا نجد نوح وبستر - في أواخر القرن الثامن عشر - يروج للاستقلال اللغوي للأمة، حتى صار المواطن الأمريكي يؤمن بأن شرفه يستلزم الالتزام بلغته واستقلاله يستلزم إيجاد صيغة لغوية إنجليزية أمريكية تميزه عن غيره، ولم يكن في ذلك الوقت سوى معجم صمويل جونسون الضخم، الذي صدر عام 1755، إلى أن نافسه وأخمله في الوم أ ظهور معجم وبستر عام 1806، الذي لم يكن يقبل النمط الإنجليزي، وكان يقول إن الاستعمال العام للأمة يجب أن يحكمه المعيار الأمريكي"³⁶، ومن هنا تتضح قيمة المحفز السياسي بالنسبة لوجود لغة محلية ودوره في تثبيتها.

وقد لاحظ الباحثون أن هناك تباينا بين تنوعات اللغة الواحدة، ومميزات خاصة بكل تنوع، ويعود ذلك إلى تأثير مجموعة من العوامل حسب كل منطقة، إذ يتحدث كلود بواربي³⁷ عن تأثير أصل المهاجرين الفرنسيين الأوائل في التنوع الكبير للفرنسية الأمريكية فيرى أنه متعلق بالدرجة الأولى بهذا العامل، وأن هناك وزنا مختلفا للمناطق الفرنسية في تعمير مستعمرات أمريكا، مما يفسر الاختلافات الحاصلة بين الفرنسية في كل من كيبيك ومنطقة الأكادي ولوزيانا.

وعن جدة الموضوع وحداثة البحث في اللغة المحلية يربط كلود بواربي ظهور الفرنسيات المحلية في الدرس اللغوي بانتقال الباحثين إلى وصف اللغة الفرنسية في واقعها، حيث يقول: "ولأن المختصين الآن يركزون على دراسة الفرنسية في استعمالها الحقيقي، أدركوا أن الاختلافات مقابل ما نسميه الفرنسية العامة عديدة وهي التي توجد غالبا داخل مناطق كبيرة ويمكن أيضا أن تتقاسمها جماعات من المتكلمين متباعدة جدا على مستوى الخريطة الجغرافية؛ هذه الجماعات تتكلم ما يجوز أن نسميه

فرنسية محلية³⁸. إن بروز اللغات المحلية موضوعا في اللسانيات الغربية ناتج إذن عن الحركة التي شهدتها البحث في تنوع اللغة بصفة عامة، وليس المقصود هنا ذلك التنوع الذي يمس اللغة عبر مرور الزمن أي على المحور التاريخي، ولا المقصود بتنوع اللغة ما كان يدرسه علم اللهجات من فروع اللغة اللهجية، وإنما تمثل مطلبهم في دراسة تنوع اللغة العامة المشتركة على المحور الآني، وكيف تختلف من مكان إلى آخر، فخرجوا إلى وجود لغات محلية للغة الواحدة، وتكتسي هذه اللغات محليتها من الخصوصيات التي تلمس مستويات اللغة المختلفة، فالتنوع في اللغة يقتضي أن تتجلى مظاهره على المستويات المختلفة لها - وإن بنسب متفاوتة - إذ أشار روبير فيزينا Robert Vésina في حديثه عن اللغة الفرنسية إلى أن التنوع يمس النطق والمعجم³⁹، ولعل في استبعاده النحو إشارة إلى أنه المستوى الأقل عرضة للتنوع والتغير.

وقد عرض ج. لدجن و إ. ليغلين I. Léglise و G. Ledegen المسار الذي شهدته دراسة تنوع اللغة على مستوياتها المختلفة، حيث أدرجا التنوع الفونولوجي والتنوع التركيبي ضمن أعمال مدرسة التنوع اللغوي L'école variationniste، فيقولان أن الأعمال الأولى ل Labov سنة 1972 تناولت الفونولوجيا من منطلق وجود صور مختلفة لنطق الفونيم فيما يسمى بالمتغير variable، وأن النقاش احتدّ حول هذا المفهوم سنة 1980 لما توسع إلى مجال التركيب⁴⁰.

كما كانت هناك أعمال أخرى، تناولت التنوع في مجال التركيب دون أن ترتبط بصفة مباشرة بمدرسة التنوع اللغوي حيث اهتمت أساسا بالمنطوق من اللغات المعيرة standardisées؛ ويمكن ذكر الأعمال الرائدة لفريق " إكس للبحث في التركيب *GARS"، وأعمال مجلة " أبحاث في الفرنسية المنطوقة RSFP سنة 1977 " التي اقترحت مقاربات وصفية ونظرية مختلفة لدراسة الفرنسية المنطوقة وكذلك أعمال آلان بيرونديوني Alain Berrendonner الذي اقترح التنوع في القواعد الموضوعة للمعيار - في إطار قواعد اللهجات المتعددة polylectale grammaire - وبالتالي اكتشاف الأنحاء المتعددة أو الثابتية paramétriques. كما أدى ازدهار نظريات التنوع اللغوي théories variationnistes لزوما إلى تطور الأبحاث المعجمية والمعجمية حول تنوعات variétés اللغات المتواجدة عبر مساحة جغرافية واسعة (الانجليزية أو الإسبانية في قارات مختلفة؛ تنوعات الفرنسية أيضا في إفريقيا في أمريكا، في المحيط الهندي... الخ)، وقد انبثقت من هذه الأعمال قواعد معطيات يمكن أن نذكر منها بصفة خاصة: " قاعدة معطيات المعجمية الخاصة بمجموع الفرانكوفونية La base de données lexicographiques panfrancophone"⁴¹.

ومن الباحثين العرب الذين أشاروا إلى مفهوم " اللغة المحلية " في بعده العالمي " محمد الديدوي "، ولربما حين تكلم عن " اللغات المحلية " و " اللغات الإقليمية"، استنبط ذلك من الدرس الغربي،

حيث رأى أن لكل اللغات لهجات ولغات محلية دون مستوى اللغة الوطنية، ويضرب لذلك مثالا باللغة الفرنسية، فيقول أن العلاقة القائمة بين الفرنسية وكل اللغات الإقليمية تختلف عن تلك التي تجمع بين الفرنسية وأية لغة أجنبية أخرى، وأنه من الجلي أن رصيد اللغة الإقليمية يختلف عن رصيد اللغة الوطنية عند الاستعمال، فبالنسبة للفرنسية هناك البروطونية والباسكية والكورسية والألزاسية والفلمندرية، كما أن فرنسية كييك ليست تماما تلك التي تستعمل في باريس، وهذه بدورها ليست مثل لغة والونيا التي تختلف عن لغة سويسرا النورمندية ومرد هذا إلى أن الحقائق الكندية ليست مثل حقائق فرنسا وبلجيكا وسويسرا⁴².

خاتمة:

حاولنا من خلال هذا العرض المختصر إعطاء نظرة عن بعض الأبعاد التي اتخذتها دراسة التنوع الذي يمس اللغة العامة في اللسانيات الغربية، وكيف انبثق منها مفهوم اللغات المحلية الذي يلغي النظرة التقليدية إلى اللغة العامة بكونها واحدة لدى جميع الناطقين بها، فيضعها موضع النظر والتحقيق، ويصف واقعها وما طرأ عليها ليصل إلى أن مستعملي اللغة العامة مضطرون إلى الخروج عما هو متعارف عليه فيها، نحو مجموعة مهمة من الاستعمالات الخاصة على مختلف مستويات اللغة مما يجعل كل جهة مالكة للغة محلية لها خصوصيات تميزها عن اللغة العامة وعن مختلف الفروع المحلية الأخرى لهذه اللغة.

ولعل هذا التوجه في البحث له أهميته ونتائجه التي ستؤثر على النظر إلى اللغات والتعامل معها، ففي تعليمية اللغات الأجنبية مثلاً ينبغي أن يستدعي المتعلم تنوعات اللغة العامة حسب المتعلم الذي أمامه وماذا يستهدف من تعلمه للغة ما فتعلمها للتعامل بها في بلده فقط؛ غير تعلمها للتعامل بها في البلد الأم لها، وغير تعلمها للتعامل بها في مختلف البلدان التي تستعمل فيها هذه اللغة، أو توسعت إليها وهي ليست اللغات الأصلية لها، فالأمر سيكون مرتبطاً أحياناً بلغات مختلفة للغة واحدة.

5. قائمة المراجع:

- القاسمي، علي. شروط عالمية اللغة وكيفية توفيرها للغتنا العربية. ضمن: مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية (ندوة دولية). الجزائر: المجلس الأعلى للغة العربية. منشورات ثالة. 2001.
- الفهري، عبد القادر الفاسي. السياسة اللغوية في البلاد العربية: بحثاً عن بيئة طبيعية عادلة، ديموقراطية وناجعة. ط1. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة. 2013.
- حمزة، حسن. مدونة المعجم التاريخي للغة العربية. ضمن: نحو معجم تاريخي للغة العربية. ط1. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2014.
- دسوقي، كمال محمد. حول مشروع معجم ألفاظ الحياة الاجتماعية. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. بحوث مؤتمر الدورة 65. ع 90. القسم الثاني. القاهرة: مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر. 2000.

- المعتوق، أحمد. نظرية اللغة الثالثة: دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى. ط1. الدار البيضاء (المغرب) بيروت (لبنان): المركز الثقافي العربي. 2005.
- الحمزاوي، رشاد. العربية والحداثة. بيروت: دار الغرب الاسلامي. 1986.
- السامرائي، إبراهيم. ألنا فصحي وعامية؟ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ع 89. القسم الأول. نوفمبر 2000.
- السامرائي، إبراهيم. من العربية المعاصرة. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ع 91. ماي 2001.
- بولغير، آلان. المعجمية وعلم الدلالة المعجمي. ترجمة مقنص هدى. ط1. لبنان: المنظمة العربية للترجمة توزيع مركز دراسات الوحدة العربية. 2012. بن سلامة، الربيعي. اللغة العربية بين الاستجابة لمتطلبات التنمية وهاجس المحافظة على الهوية. ضمن اللغة والهوية في الوطن العربي: إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح. ط1. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2013.
- أحمد مختار، عمر. المعجم العربي الحديث والخروج من الدائرة المغلقة. مجلة كلية دار العلوم. ع 21. كلية دار العلوم. جامعة القاهرة. 1997.
- الديداوي، محمد. التعريب والترهيب. مجلة اللسان العربي. ع 37. مكتب تنسيق التعريب بالرباط. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. جامعة الدول العربية. 1993.
- Poirier, Claude. **l'intrication des mots régionaux et des mots du français général dans le discours québécois.** *langues et linguistiques*. n°9. Québec : université lava. 1983,
- Chanut , Maria Emilia Pereira. **les statalismes_particularismes lexicaux du français de suisse dans la traduction assermentée**
- *synergies Brésil : la lexicographie d'aujourd'hui en contextes francophone et Brésilien*. n11. GERFLINT. 2013
- Warnant, Léon. **dialectes du Français et Français régionaux** . *langue française : les parlers régionaux* N°18. 1973
- Vésina, Robert. **la question de la norme linguistique**. Québec : bibliothèques et archives nationales du québec. conseil supérieur de la langue française. 2009,
- Pruvost, Jean. Préface dans **"la variation lexicale des français : dictionnaires, bases de données corpus "**. Annick Farina et Valeria Zotti (dir). Paris : Honoré champion éditeur. 2014, p11.
- Rey, Alain. **vers une description des variantes du français : l'inventaire des particularités lexicales du français en Afrique noire.** *le français dans le monde*. N°170. Hachette. Larousse. 1982.
- Bertegnier , Aude. **le français régional à la réunion : lexique, identification et insécurité linguistique.** *le corpus lexicographique : Méthodes de constitution et de gestion*, Daniél Latin et Claude Frey(éds). Coédition A U P E L F - U R E F. collection actualité Scientifique. 1997.
- Vésina, Robert. *la question de la norme linguistique*, .
- Horiot, Brigitte. **les francais et leurs langues : enquêtes sur les patois, dialectes et mots régionaux.** *la clé des langues*. Lyon : ENS Lyon/DGESCO. publié par cliffordarmion le 06-10-2011-<http://cle.ens-lyon.fr>.
- Poirier, Claude. l'intrication des mots régionaux et des mots du français général dans le discours québécois,
- Rodriguez, Lilliane. **Régionalismes et Anglicivismes : la dualité linguistiques Franco-Manitobaine et ses implications en 1992.** *Francophonie d'Amérique*(3). Presse de l'université d'Ottawa. 1993.

- Ladislava, Miličková. **le parler français de Belgique**. studia minora facultatis philosophicae universitatis Brunensis. L17. 1996,. <http://digilib.phil.muni.cz>
 - Wissner, Inka. les diatopismes du français en vendée et leur utilisation dans la littérature : l'œuvre contemporain d'Yves Violier,.
 - Galarneau, Annie et Vésina, Robert. *Réflexions et pratiques relatives à la variation topolectale en terminologie*,
 - Poirier, Claude. **une langue qui se définit dans l'adversité**. Dans Michel Plourde (dir). *le Français au Québec : 400 ans d' histoire et de vie*. conseil de la langue française. F I D E S. 2008,
 - Poirier, Claude. **le Français d'Amérique : une variété maternelle distincte**. *La Francophonie dans les amériques*. N°154. les publications Québec français. été 2009.
 - Poirier, Claude. l'intrication des mots régionaux et des mots du français général dans le discours québécois..
 - Vésina, Robert. **la question de la norme linguistique**.
- G, Ledegen et I, Légise. **Variations et changements linguistiques**. *Sociolinguistique des langues en contact*. Wharton S, Simonin J. (Ed.). 2013.
- Elalouf, Aurélia. **La notion de grammaire seconde : Tentative de reconstruction épistémologique**. Congrès Mondial de Linguistique Française – CMLF 2012. publié par EDP Sciences. 2012,
 - Sabio, Frédéric. Magali, Rouquier et Sandrine, Caddeo. **Les travaux de recherche de Claire Blanche-Benveniste (2/)**, <http://www.claire-blanche-benveniste.fr> .

– الهوامش:

- ¹ – القاسمي، علي. شروط عالمية اللغة وكيفية توفيرها للغتنا العربية. ضمن: مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية (ندوة دولية). الجزائر: المجلس الأعلى للغة العربية. منشورات ثالة. 2001، ص203.
 - ² – الفهري، عبد القادر الفاسي. السياسة اللغوية في البلاد العربية: بحثا عن بيئة طبيعية عادلة، ديموقراطية وناجعة. ط1. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة. 2013، ص41.
 - ³ – المرجع نفسه، ص 180.
 - ⁴ – حمزة، حسن. **مدونة المعجم التاريخي للغة العربية**. ضمن: نحو معجم تاريخي للغة العربية. ط1. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2014، ص233.
 - ⁵ – المرجع نفسه، ص235.
 - ⁶ – دسوقي، كمال محمد. **حول مشروع معجم ألفاظ الحياة الاجتماعية**. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. بحوث مؤتمر الدورة 65. ع 90. القسم الثاني. القاهرة: مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر. 2000 ص264.
 - ⁷ – المعتوق، أحمد. **نظرية اللغة الثالثة: دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى**. ط1. الدار البيضاء (المغرب) بيروت (لبنان): المركز الثقافي العربي. 2005، ص102.
 - * – حسن حسني عبد الوهاب (1884-1968)، أديب ولغوي ومؤرخ تونسي.
 - ⁸ – الحمزاوي، رشاد. **العربية والحدائق**. بيروت: دار الغرب الاسلامي. 1986، ص ص 66 – 67.
 - ⁹ – المرجع نفسه، ص67.
 - ¹⁰ – السامرائي، إبراهيم. **ألنا فصحي وعامية؟** مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ع 89. القسم الأول. نوفمبر 2000، ص220.
 - ¹¹ – المرجع نفسه، ص ص 220 – 221.
 - ¹² – السامرائي، إبراهيم. **من العربية المعاصرة**. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ع91. ماي 2001، ص ص 98 – 99.
- ¹³ – Poirier, Claude. **l'intrication des mots régionaux et des mots du français général dans le discours québécois**. *langues et linguistiques*. n°9. Québec : université lava. 1983, P.48

- 14 - المرجع نفسه، ص 47.
- 15 - المرجع نفسه، ص 48.
- 16 - Chanut, Maria Emilia Pereira. **les statalismes_particularismes lexicaux du français de suisse dans la traduction assermentée. synergies Brésil: la lexicographie d'aujourd'hui en contextes francophone et Brésilien.** n11. GERFLINT. 2013, p93.
- 17 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 18 - Warnant, Léon. **dialectes du Français et Français régionaux . langue française : les parlers régionaux** N°18. 1973, p110.
- 19 - Vésina, Robert. **la question de la norme linguistique.** Québec : bibliothèques et archives nationales du québec. conseil supérieur de la langue française. 2009, pp5-6.
- 20 - Pruvost, Jean. Préface dans **"la variation lexicale des français : dictionnaires, bases de données corpus"**. Annick Farina et Valeria Zotti (dir). Paris : Honoré champion éditeur. 2014, p11.
- 21 - Rey, Alain. **vers une description des variantes du français : l'inventaire des particularités lexicales du français en Afrique noire.** le français dans le monde. N°170. Hachette. Larousse.1982, p72.
- 22 - Bertegnier, Aude. **le français régional à la réunion : lexicque, identification et insécurité linguistique.** le corpus lexicographique : Méthodes de constitution et de gestion, Daniél Latin et Claude Frey(éds). Coédition A U P E L F - U R E F. collection actualité Scientifique. 1997, p112.
- 23 - Vésina, Robert. **la question de la norme linguistique,** p6.
- 24 - Horiot, Brigitte. **les français et leurs langues : enquêtes sur les patois, dialectes et mots régionaux.** la clé des langues. Lyon : ENS Lyon/DGESCO. publié par cliffordarmion le 06-10-2011-<http://cle.ens-lyon.fr>.
- 25 - Poirier, Claude. l'intrication des mots régionaux et des mots du français général dans le discours québécois, pp 47,48.
- 26 - Rodriguez, Lilliane. **Régionalismes et Anglicismes : la dualité linguistiques Franco-Manitobaine et ses implications en 1992.** Francophonie d'Amérique(3). Presse de l'université d'Ottawa. 1993, P39.
- 27 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 28 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 29 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 30 - بولغير، آلان. **المعجمية وعلم الدلالة المعجمي.** ترجمة مقنص هدى. ط1. لبنان: المنظمة العربية للترجمة توزيع مركز دراسات الوحدة العربية. 2012، ص 102-103.
- 31 - Ladislava, Miličková. **le parler français de Belgique.** studia minora facultatis philosophicae universitatis Brunensis. L17. 1996, p7. <http://digilib.phil.muni.cz>
- 32 - Wissner, Inka. les diatopismes du français en vendée et leur utilisation dans la littérature : l'œuvre contemporain d'Yves Violier, P16.
- 33 - Galarneau, Annie et Vésina, Robert. **Réflexions et pratiques relatives à la variation topolectale en terminologie,** p6.
- 34 - Poirier, Claude. **une langue qui se définit dans l'adversité.** Dans Michel Plourde (dir). **le Français au Québec : 400 ans d' histoire et de vie.** conseil de la langue française. F I D E S. 2008, p116.
- 35 - بن سلامة، الربيعي. **اللغة العربية بين الاستجابة لمتطلبات التنمية وهاجس المحافظة على الهوية.** ضمن اللغة والهوية في الوطن العربي: إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح. ط1. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2013، ص 146.
- 36 - أحمد مختار، عمر. **المعجم العربي الحديث والخروج من الدائرة المغلقة.** مجلة كلية دار العلوم. ع 21. كلية دار العلوم. جامعة القاهرة. 1997، ص 22.
- 37 - Poirier, Claude. **le Français d'Amérique : une variété maternelle distincte.** La Francophonie dans les amériques. N°154. les publications Québec français. été 2009, p40.
- 38 - Poirier, Claude. l'intrication des mots régionaux et des mots du français général dans le discours québécois. P47.
- 39 - Vésina, Robert. **la question de la norme linguistique.** p5.
- 40 - G, Ledegen et I, Léglise. **Variations et changements linguistiques.** Sociolinguistique des langues en contact. Wharton S, Simonin J. (Ed.). 2013, p316.

* - GARS هو مختصر ل Groupe Aixois de Recherches en Syntaxe وهو فريق بجامعة بروفانس، وبالتالي يعد هذا المفهوم خاصا باللسانيات الفرنسية.

Elalouf, Aurélia. *La notion de grammaire seconde : Tentative de reconstruction épistémologique*. Congrès Mondial de Linguistique Française – CMLF 2012. publié par EDP Sciences. 2012, p737 .

أما RSFP فهو مختصر لـ la revue Recherches Sur le Français Parlé .

Sabio, Frédéric. Magali, Rouquier et Sandrine, Caddeo. *Les travaux de recherche de Claire Blanche-Benveniste (2/)*, <http://www.claire-blanche-benveniste.fr> .

⁴¹ - G, Ledegen et I, Léglise. Variations et changements linguistiques . p316, 317.

⁴² - الديداوي، محمد. *التعريب والترهيب*. مجلة اللسان العربي. ع37. مكتب تنسيق التعريب بالرباط. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. جامعة الدول العربية. 1993، ص177.